

موقف ايران من التطورات السياسية في افغانستان (١٩٧٩-١٩٩٨)

م.م محمد سالم احمد الكواز
مركز الدراسات الاقليمية/ جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث : ٢٠٠٧/٣/٥ ؛ تاريخ قبول النشر : ٢٠٠٧/٦/٤

ملخص البحث :

تعنى هذه الدراسة في اعطاء صورة واضحة عن موقف ايران من التطورات السياسية في افغانستان للفترة ١٩٧٩-١٩٩٨ بحيث يمكن القول انها استطاعت ان تحلل كثير من المعلومات ذات العلاقة بمجريات الاحداث السياسية . فالواقع الاقليمي والروابط التي تجمع البلدين كان تأثيرها واضحاً في تحديد طبيعة ومواقف كل طرف اتجاه الآخر ازاء المتغيرات والتطورات السياسية التي تعرض لها كلا البلدين ، ومع ذلك اتسمت علاقاتهما بعدم الانسجام الكامل في كثير من الاحيان ، فيران وتطبيقاً لشعارها الذي سارت عليه والمسمى بـ"تصدير الثورة" لغرض بث افكار الثورة الاسلامية التي جاء بها الخميني والتي سعت من خلالها الى تحقيق نزعتها التوسعية في الاطار الاقليمي ، خلق جواً من التوتر في علاقاتها مع النظام السياسي في افغانستان ، والذي اخذ يتصاعد شيئاً فشيئاً بعد التدخلات الايرانية المتواصلة في شؤون افغانستان الداخلية ، وتحديداً في المجال المذهبي والسياسي والدبلوماسي، بحيث اصبح واقع العلاقات بين البلدين يتسم بالطابع العدائي لا بل كاد ان يتحول مع مرور الايام الى حد نشوب حرب بينهما في آب ١٩٩٨.

Toward Iran for Political Development in Afghanistan

Assistant Lecturer
Mohammad S.A.AL-Kawaz
University of Mosul - Regional Studies centre

Abstract:

This study gives a clear view concerning the attitude of Iran's politics from political developments in Afghanistan during the period 1979-1998. We can say that this study analyzed so may information regarding political event. Regional reality and connections between both

states have great impact in determining their own attitudes. Therefore, their relation were in compatible most of the time. Iran is following its motto which says:

Exporting Revolution” in order to send the opinions of Islamic Revolution by humane trying to hide its expanding aim within the regional frame and create an atmosphere full of tension with the political regime in Afghanistan. Thus, Their relation were stamped with Severe hostility and became more than that reaching the state of breaking out a war between both states in August 1998.

المقدمة:

اتسمت السياسة الايرانية في اطارها الاقليمي منذ قرون خلت ، بمحاولة التوسع والهيمنة ، فمواقفها السياسية تجاه ما حدث ويحدث في منطقة الشرق الاوسط نابعة بالاساس من مصالحها الاقتصادية والسياسية وفقاً للضرورات التي تحتم على ايران التعامل مع التطور السياسي الاقليمي سلبياً كان ام ايجابياً ، ونظراً لما مرت به افغانستان من متغيرات واحداث سياسية كان مؤشراً واضحاً للوقوف السياسي الايراني .

فالغزو السوفييتي لافغانستان في كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٩ كان دليلاً على مدى القلق الايراني من التطلعات السوفييتية نحو المنطقة، اذ بدأت ايران تتدد بذلك الفعل السوفييتي على المستويين الرسمي والشعبي ، مويده تعاطفها مع الثوار الافغان على اعتبار ان الثورة الاسلامية في ايران في شباط من العام نفسه والنظام الايراني الجديد لقيا ترحيباً واسعاً وتأبيداً في افغانستان نفسها وبالاخص من نخبة الثوار الافغان في العاصمة كابول ، املاً في تحقيق تنسيق مع نظام ايران الجديد للوقوف ضد القوات السوفييتية والنظام السياسي الافغاني الحاكم ذات التوجه لماركسي المتشدد .

استغلت الحكومة الايرانية الاحداث السياسية داخل افغانستان فاخذت تبالغ الى حد كبير في موقفها الرسمي حينما بدأ النظام الايراني التدخل بشؤون الافغان الداخلية فحدث ذلك توتر عكس واقع الاستقرار في علاقاتهما على ما كانت عليه قبل عام ١٩٧٩ ، وخاصة بعد استقطاب ايران اعداداً من الثوار الافغان وتأبيدهم للوقوف ضد النظام الافغاني . وعلى الرغم من اعتراض الاخير للسياسة الايرانية ، استمرت الاخيرة في مواصلة دعمها لفصائل المقاومة الافغانية وخاصة دعمها لتحالف الشمال للوقوف ضد نظام طالبان ، بحيث اصبح الامر مع مرور الوقت يواجه صراع ونزاع مع ايران كاد ان يتحول الى حرب بين البلدين في آب/اغسطس ١٩٩٨ .

طبقاً لما تم تقديمه ارتأينا تقسيم هذه الدراسة الى محورين ، تضمن المحور الاول مدخلاً لطبيعة تاريخ العلاقات الايرانية - الافغانية قبل عام ١٩٧٩ ، في حين استعرض المحور الثاني موقف السياسة الايرانية اتجاه تنامي التطورات السياسية في قغانستان وهي على النحو الاتي:

- المرحلة الاولى: الموقف الايراني من الغزو السوفييتي لافغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩ .
- المرحلة الثانية: موقف السياسة الايرانية من الحكومة الانفصالية الافغانية ١٩٨٩-١٩٩٤ .
- المرحلة الثالثة: موقف ايران من نظام حكم طالبان ١٩٩٤-١٩٩٨ .

نظرة في طبيعة العلاقات الايرانية - الافغانية قبل عام ١٩٧٩

ما من شك ان ايران لم تبد موقفاً تجاه ما واجهته افغانستان من احداث سياسية داخلية كانت ام خارجية في الماضي والحاضر الا لاعتبارات مهمة اثرت في اتجاهات وتطورات العلاقات بين البلدين ، وفي مقدمة هذه الاعتبارات الموقع الجغرافي لافغانستان وما يمثلته من اهمية بالنسبة للمصالح الدولية المتنافسة في اسيا ، فهناك حقيقة لا بد من معرفتها في تحديد طبيعة علاقة ايران مع افغانستان ، وهي ان كلتا الدولتين جزء من تكامل اقليمي واحد يضمها في منطقة جنوب غرب اسيا وهو امتداد طبيعي لمنطقة الشرق الاوسط والخليج العربي بكل ما تحمله تلك المنطقة من اهمية استراتيجية ، فعند النظر الى الخريطة نجد ان افغانستان تحد ايران من الشرق وعلى امتداد حوالي ٨٠٠ - ٩٠٠ كم ، ويرتبطان بروابط كثيرة في مقدمتها الروابط الدينية والعلاقات الاقتصادية التي حددت طبيعة مواقف ايران تجاه افغانستان ، وهذا يعني ان ما يحدث في افغانستان تتأثر به نسبياً ايران وبالعكس .

ان تاريخ العلاقات بين البلدين له امتداد طويل على المستوى السياسي والاقتصادي ، ففي الواقع ان افغانستان عانت كثيراً من الهيمنة الايرانية عليها والتوسع على حسابها وعلى وجه الخصوص في ثلاثينيات القرن التاسع عشر وتحديداً منذ عام ١٨٣٤ طمعاً في ضم مناطق افغانية الى الاراضي الفارسية عندما قام محمد شاه قاجار (١٨٣٤-١٨٤٨) بمحاولات التغلغل في افغانستان لضم المقاطعات الشمالية واهمها مدينتي بخارى وسمرقند اللتان انضمتا الى روسيا القيصرية^(١) مما ادى ذلك الى قلق بريطانيا التي عدت ذلك الاجراء بمثابة تهديداً مباشراً لسلامة حدود الهند الشمالية الغربية ، فقامت بأرغام ايران بالتوقيع على معاهدة في عام ١٨٥٧ التي تقضي بعدم التدخل في افغانستان وانسحابها من منطقة هراة الافغانية^(٢).

اثيرت بعد ذلك مسألة ترسيم الحدود بين البلدين منذ اواخر القرن التاسع عشر التي بدأت في حينها تتحول الى خلافات حادة بسبب مشكلة توزيع مياه نهر الهماند^(٣) فقد حاولت الحكومة الفارسية التوسع داخل الاراضي الافغانية مؤكدة رفضها ترسيم الحدود مع افغانستان في منطقة صحراء السيستان بموجب معاهدة (سيستان) التي تم عقدها بين الطرفين وبأشراف لجنة بريطانية ترأسها (فردريك كولد سميث) في عام ١٨٧٢. اذ ادعت الحكومة الفارسية ان الحدود مع افغانستان غير واضحة المعالم مضيئة انه حتى افغانستان نفسها لم توافق اساساً على الحدود التي رسمتها اللجنة^(٤)

وفي مطلع القرن العشرين وتحديداً منذ عام ١٩٠٢ وافق البريطانيون على طلب تقدمت به ايران ، وبموافقة الافغان على اعادة رسم الحدود بين البلدين بشكل اكثر وضوحاً ودقة ، لازالة الغموض الذي كان يشوب الحدود التي رسمها (كولد سميذ) التي شاركت بعضويتها كلاً من المانيا وروسيا القيصرية ، وقد حظي قرارها في البداية بموافقة الحكومتين الفارسية والافغانية ، اذ وافق ملك الافغان (حبيب الله خان) على الفور بقرار اللجنة ، الا ان الاخيرة اخفقت فيما بعد في حل الجزء الثاني من المشكلة وهي مسألة توزيع مياه نهر الهماند حينما رفض الفرس في عام ١٩٠٥ قرار توزيع المياه ، وقدموا طلباً رسمياً الى الحكومة البريطانية يفيد بعدم قبولهم بشكل نهائي وذلك في عام ١٩٠٦^(٥) .

ومع سقوط الدولة القاجارية (١٧٩٦-١٩٢٥) في ايران ، ومجيء العهد البهلوي (١٩٢٦-١٩٧٩) لجأت الاخيرة الى محاولات جدية تمثلت بأحتلالها اراضي افغانية عام ١٩٢٨ ، وتتابععت الاعتداءات الايرانية على افغانستان حتى بلغت درجة كبيرة من التوتر في مراحل متعددة^(٦) ولكن بمرور الوقت تحسنت العلاقات السياسية والتجارية بين الطرفين نوعاً ما في اعقاب توقيع اتفاقية سعد اباد في عام ١٩٣٧ بين ايران وافغانستان والعراق وباكستان ، تلك المعاهدة التي الزمت ايران والاطراف المتعاقدة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لكل منهم في شؤون الطرف الاخر، وهو ما كانت تسعى اليه افغانستان لوضع حد لاطماع ايران التوسعية على حسابها^(٧) بذلك يكون ميثاق سعد اباد قد حدد العلاقة بين البلدين حتى قيام الحرب العالمية الثانية حتى بعد ان دخلت منطقة الشرق الاوسط في تنافس دولي بين المعسكرين الغربي والاشتراكي^(٨) .

غير ان عدم اتفاق وجهات النظر بين البلدين حول مشكلة توزيع مياه نهر الهماند بقيت موضوع جدال ، اذ لم تغلح المساعي والجهود الدبلوماسية في احراز أي تقدم في سبيل التوصل الى تفاهم يرضي الجانبين ، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية جرى لقاء بين ممثلي البلدين لبحث المشكلة وذلك في عام ١٩٤٧ عندما اجتمعوا في الولايات المتحدة واتفقوا على الاجتماع في العام الذي يليه ، لكن تباعد وجهات النظر كانت واسعة المدى ، بحيث تقرر الاستعانة ببعثة تقوم بدور حسم الموضوع ،التي تألفت من ممثلي دول محايدة اهمها (الولايات المتحدة، كندا، تشيلي) والتي استمرت اعمالها وتضمنت زيارات قامت بها الى منطقة النهر المتنازع عليه حتى عام ١٩٥٠ ، وفي النهاية لم تلق جميع قرارات تلك الدول القبول المرضي والكافي من كلا الطرفين الايراني والافغاني^(٩) .

فيما عدا ذلك فقد استمرت من جانب اخر حالة استقرار العلاقات بين البلدين فترة من الزمن لتشهد تطوراً ايجابياً في بداية ستينيات القرن العشرين تمثل بالتعاون الاقتصادي اذ تبادل الطرفان زيارات دبلوماسية وتجارية . وبقيت العلاقات بينهما ثابتة لم تتطور الى اية مشاكل حتى

بعد اعلان الجمهورية الافغانية عام ١٩٧٣ ، لتستمر العلاقات الودية بينهما نحو الافضل ، وتعزز ذلك بعقد الاتفاقيات التجارية ابتداءً من عام ١٩٧٤^(١٠) .

وقد عزز التقارب الافغاني الباكستاني منذ عام ١٩٧٥ الى توقيع اتفاقية في العام الذي تلاه اي في عام ١٩٧٦ بين ايران وافغانستان حول اقتسام الجزء الجنوبي من حوض الهماند، التي تم ابرامها اثر زيارة الحاكم الافغاني (محمد داود) الى طهران في العام نفسه لحسم القضية وانهاؤها بشكل مرضي ونهائي^(١١) فالتوجه الجديد في سياسة البلدين مع الدول الاسلامية دفع الى تعزيز العلاقات بين الطرفين ، بحيث بلغت الديون او القروض الايرانية لافغانستان بعد الاتفاقية بحدود (١١٤١) مليون دولار بينما لو تتجاوز قروض الاتحاد السوفييتي لافغانستان نصف هذا المبلغ ، وهذا مؤشر واضح على مدى تحسن العلاقات بين الجانبين^(١٢) بحيث انعكس ذلك على تطورها في عام ١٩٧٧ عندما هاجر عدد كبير من الافغان للعمل في ايران في مختلف القطاعات ، في حين ان اعداداً قليلة منهم بدأوا بالتوجه نحو دول الخليج العربي للبحث عن فرص عمل اخرى^(١٣) .

موقف السياسة الايرانية من التطورات السياسية في افغانستان (١٩٧٩-١٩٩٨):

كما اسلفنا فيما سبق، ان ما يجري داخل احدى الدولتين من متغيرات سياسية يكون له تأثيرات داخلية وخارجية على احدهما . فالتطور السياسي الذي حدث في ايران بسقوط نظام الشاه، وعلان الجمهورية بقيادة الخميني في شباط من عام ١٩٧٩ ، كان له اثر على الوضع الداخلي في افغانستان ، فالثورة الاسلامية الايرانية بأعتبارها ثورة ضد نظام رجعي استبدادي مرتبط بالولايات المتحدة بدت وكأنها تدعيم للنظام اليساري الذي كان يحكم العاصمة الافغانية كابول . ولكونها ثورة اسلامية فقد اثرت في الوقت نفسه في دعم الثوار الافغان الذين كانوا يقاتلون حكومة كابول اليسارية (حكومة نور تراقي ١٩٧٣-١٩٧٨ المؤيدة للسوفيت) بأسم الاسلام ، ويرفعون راية الثورة الاسلامية . وعلى الصعيد الواقعي انذاك فأن حكومة كابول اليسارية من ناحية والثوار الافغان من ناحية اخرى رحبا بالثورة الايرانية ورأى كل منهما في تلك الثورة تدعيماً له^(١٤) أي ان مجيء الثورة الايرانية كان لها الدعاية الاسلامية وايدولوجيات التشجيع داخل النخبة الثورية في افغانستان أي تأثير معنوي على الثوار الافغان^(١٥) والدليل على ذلك هو قيام العديد من قادتهم بزيارات الى ايران بهدف الحصول على التأييد من النظام الايراني الجديد ، وبالفعل ، فقد عبر كثير من المسؤولين الايرانيين عن تعاطفهم مع الثوار الافغان ، ودعمهم المعنوي^(١٦) خاصة بعد ان تبني الخميني (١٩٧٩-١٩٨٩) قضية افغانستان على انها

قضيته، وهذا ما أدى الى قيام (حفيظ الله امين) ذو التوجه الماركسي المتشدد بدوره بأنقلاب ضد حكومة تراقي في نيسان عام ١٩٧٨، وتوليه الحكم حتى كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٩^(١٧).

بذلك تكون الثورة الاسلامية في ايران قد اسهمت بشكل عام في دعم كل من جانبي الصراع في افغانستان، سواء بشكل مباشر او غير مباشر^(١٨). ومن جانب اخر فإن الحكومة الافغانية التي ايدت في البداية الثورة الايرانية ابدت في ما بعد تخوفاً من النظام الجديد في ايران كونه قد اظهر ثلاث عناصر او مرتكزات أساسية في سياسته الخارجية في مجال التوسع ونشر الهيمنة الايرانية في افغانستان والدول المجاورة لايران وهي^(١٩):

١. المحافظة الكاملة على المكاسب الاقليمية والسير بنفس الطريق العدائي والتوسعي الذي كان يسير عليه شاه ايران المخلوع.

٢. شعار ما يسمى بـ"تصدير الثورة" لغرض بث افكار الثورة الايرانية التي جاء بها الخميني وفق نزعة التوسعية في عموم الارض العربية والدول الاسلامية المجاورة ومنها افغانستان، وقد كان الخميني محركاً أساسياً لاتجاهات السياسة الايرانية نحو استخدام القوة العسكرية لتحقيق اهدافه التوسعية، خاصة بعد ان عمل على نشر نظريته التي حددها في كتابه "ولاية الفقيه" وبدأ تحركه الفعلي للوصول الى ذلك الهدف، فقام بتشكيل مؤسسات ومواقع متخصصة في قم وطهران لنشر فكرته في الدول المجاورة.

٣. استغلال هذه التوجهات التوسعية الايرانية من قبل احزاب المعارضة الاسلامية الافغانية التي اخذت تستخدم المدن الايرانية القريبة من الحدود الافغانية كمراكز لنشاطاتها السياسية بهدف اثارة الفتن والاضطرابات داخل افغانستان.

وانطلاقاً من هذه المعطيات فإن العلاقات الايرانية الافغانية على المستوى الرسمي بدأ يشوبها نوع من التوتر بحدوث أزمة حادة، وبالفعل فالنظام الايراني بدأ بالتدخل في الشؤون الداخلية لافغانستان بتشكيل احزاب ذات توجهات (طائفية) في افغانستان ويأتي في مقدمة هذه الاحزاب "حزب حركت" الافغاني الشيعي و"حزب الوحدة الشيعي" الافغاني، تمهيداً لجر افغانستان للخضوع للنظام الايراني. وقد ازدادت فعلاً الاهداف التوسعية الايرانية بتشجيع الهجرة الايرانية الى المناطق الافغانية القريبة من حدودها لتغيير طابعها الديمغرافي حتى يتسنى لها بالتالي تحقيق هيمنتها واحكام سيطرتها عليها، فضلاً عن ان ايران قد وظفت عدائها لنظام افغانستان بأستخدام شبكة رجال الدين لاثارة المشاعر الدينية او تحريك النعرات الطائفية لتصدير الثورة اليها، كما انها مارست تجاوزات عديدة منها الغاء الشرعية على النظام الافغاني أي عدم الاعتراف به كنظام حاكم ونعته بشتى الاساليب. مما اثر سلبياً على العلاقات الرسمية بين البلدين، وزاد من التدخل الايراني في الشؤون الداخلية لافغانستان، الامر الذي اثار سخط الحكومة الافغانية بزعامة (بابراك كارمال كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٩ - شباط/فبراير ١٩٨٦)

الذي وصف الثورة الاسلامية في ايران بأنها "ليست اسلامية او حتى شعبية" وانها "نموذج للتعصب الشوفي" محذراً من مغبة التدخل الايراني في الشؤون الداخلية، وانتهاك حرمة الأراضي الافغانية^(٢٠) .

ابتدت السياسة الايرانية مواقف تجاه ما واجهته افغانستان من تطورات واحداث سياسية اهمها ما يلي :

-الموقف الايراني من الغزو السوفييتي لافغانستان ١٩٧٩-١٩٨٩ :

كان للاجتياح السوفييتي العسكري لافغانستان في ٢٧ كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٩ بطلب من حكومة كارمال ذات التوجه الماركسي المشكلة لضرب الثوار الافغان ، له صده في ايران التي اعربت عن سخطها ، اذ وصف بيان اصدرته الحكومة الايرانية في ٢٩ كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٩ بشأن التدخل السوفييتي في افغانستان بأنه "عمل عدائي" ضد كافة مسلمي العالم ، ودعا الخميني في الوقت نفسه القوات المسلحة الافغانية، والشرطة والموظفين المدنيين للوقوف ضد ما وصفه بـ "الملحدون والفاستدين " الذين يحاولون تخريب ثقافة البلد الاسلامي من السوفييت وعناصر الحكومة الافغانية الشيوعيين ، كما اتهم احد رموز النظام الايراني بأن حكومة موسكو كانت تهدف من تدخلها في افغانستان بالسعي للاستيلاء على اجزاء من الاراضي الايرانية في محاولة للوصول الى المياه الدافئة في المحيط الهندي^(٢١) .

اما داخل ايران فقد اقتحم الاف افغانيين ومعهم مؤيدوهم من الايرانيين مبنى السفارة السوفييتية في طهران مطالبين بأنسحاب القوات السوفييتية من افغانستان ، اذ ان التدخل السوفييتي في افغانستان كان قد اثار قلق اغلب السياسيين في النظام الايراني من وجود تحركات سوفييتية محتملة ضد ايران . وقد تمثل القلق الايراني بما يلي :

١. اعتقاد ايران بأن من المحتمل ان تكون الهدف الثاني بعد افغانستان في ظل متطلبات امنية لضمان حدود الاتحاد السوفييتي السابق ، وانه من الممكن ان يطبق المادة (٦) من معاهدة ١٩٢١ التي نصت بأن للسوفيت الحق بتدخل قواتها في الاراضي الايرانية اذا ما تطلبت الضرورات الدفاعية ذلك^(٢٢) وهذا ما اكده الرئيس الايراني السابق (ابوالحسن بني صدر ١٩٨٠-١٩٨١) عندما قال : "ليس هناك ما يضمن عدم تدخل الاتحاد السوفييتي في ايران" .

٢. قلق الحكومة الايرانية حينها من ازدياد نشاط حركة البلوش في افغانستان الذين تدعمهم الحكومة السوفييتية والتي تؤيدها ايضاً الحكومة الافغانية الماركسية كوسيلة لكسب ممر الى المحيط الهندي.

٣. قدرة السوفييت على امكانية اثاره ودعم النزعة القومية والعرقية في ايران ، حيث تشير المعلومات بأن هناك جماعات يسارية ايرانية تتلقى تدريبات على حرب العصابات ذات توجهات فكرية وماركسية في معسكرات افغانية بأشراف السوفييت في مدينة (مزار شريف) الافغانية القريبة من الحدود السوفييتية . وهذا ما اشار اليه (اية الله حسين) ممثل الخميني بقوله: " رد الثورة الايرانية سيكون غاية في الحزم اذا حاول رجال العصابات في بلوجستان الذين يدرّبهم السوفييت للتسلل الى ايران " (٢٣) .

استمرت ايران في شجبها للتدخل السوفييتي المباشر في افغانستان ، وكان الرئيس الايراني السابق بني صدر قد اعلن في تصريح صحفي له بأن بلاده عازمة على مقاطعة السوفييت في دورة الالعاب الاولمبية في موسكو بقوله : " لن نستطيع الذهاب الى موسكو ، في حين ان القوات السوفييتية تقتل اشقائنا المسلمين في افغانستان " . وفي حديث له مع صحيفة (لوموند) الفرنسية في ١٥ شباط ١٩٨٠ اعرب فيها عن القلق الايراني من التوسع السوفييتي واحتلال افغانستان ، اذ طلب من الرئيس السوفييتي السابق (ليونيد بريجنيف) سحب قواته سريعاً من افغانستان، وقال بالحرف الواحد "انسحبوا والا تخسروا كل رصيد لدى الايرانيين" . اما الخميني فإنه ابلغ الرئيس بريجنيف في الوقت نفسه بضرورة عدم استخدام القوة ضد البلاد الاسلامية اذا رغب ان تكون لبلاده علاقات طيبة مع ايران وقال في برقية ارسلها الى الرئيس السوفييتي " حينما اشكر لفخامتكم برقيتكم في مناسبة الذكرى الاولى للثورة الاسلامية في ايران ، وانقل لكم اعجابنا بالشعب السوفييتي الصديق ، اعرب عن الامل في اقامة سلام دولي عن طريق الاستقلال الوطني وعدم التدخل واحترام السيادة ووحدة الاراضي لبلدان المنطقة... ان أي عدوان على بلدان العالم الثالث عموماً والبلاد الاسلامية في المنطقة خصوصاً ، مخالف لمبادئ الصداقة بين الامم " (٢٤) .

عموماً ازدادت التصريحات والبيانات العديدة التي تعلن عن تأييد ايران للثوار الافغان الذين يقاتلون حكومة كابول ، فقد بثت اذاعة طهران في وقت مبكر انباء تنديد الطلاب الذين يحتلون السفارة الامريكية في طهران بأنقلاب افغانستان الذي قام به كارمال اليساري الماركسي في كانون الاول/ديسمبر ١٩٧٩ ووصفوا التدخل السوفييتي بأنه "امبريالية شرقية" . وجاء في بيان اصدره الطلاب في هذا الصدد ان "على الحكومة السوفييتية المتعطشة للدماء ان تعرف ان قمع الامة الافغانية المحرومة هو مثل قمع الشعب الفيتنامي الذي جلب الهزيمة والعار للولايات المتحدة " (٢٥) كما وصف في الوقت نفسه العديد من المسؤولين الايرانيين حكومة كارمال بأنها حكومة "عدائية وفاسدة"، وذلك على اثر اكتشاف مؤامرة حكومة امين السابقة في اغتيال المرجع الديني "اية الله شريعتمداري" بسبب حملات الاخير المؤيدة للمقاومة الافغانية المعارضة داخل افغانستان ، وان حكومة كارمال تسير على نفس نهج حكومة امين نفسه (٢٦) .

مقابل ذلك توالى العديد من زيارات قادة المقاومة الافغانية الى ايران ، منها زيارة الشيخ (محمد قندهار) لايران . وفي تصريح لـ (حسين نوري) احد المسؤولين في الحكومة الايرانية انه اعلن بقوله: " ان ايران لا تقبل بالنشاط السوفييتي في افغانستان . واننا نؤيد معنوياً الشعب الافغاني ، وسوف نساعد مادياً بمجرد ان يكون في مقدورنا ذلك ". و اضاف مؤكداً " ان ايران ستساعد دائماً اخوانها المسلمين الافغان " . وفي تصريح اخر للحاكم السابق لمقاطعة خراسان الايرانية والمدعو (حسن غاسوري) في كانون الثاني/يناير ١٩٨٠ قال فيه : " ان السلطات الايرانية تسهر بعناية على مرور المجاهدين الافغان عبر الحدود في اتجاه افغانستان وايران " (٢٧).

هكذا بات الموقف الايراني الرسمي والشعبي قلقاً ويشوبه الحذر ، على ان وجود القوات السوفييتية داخل الاراضي الافغانية التي جاءت بدعم من حكومة نظام كارمال اليسارية، امراً في غاية الخطورة نظراً لخشية ايران من ان تصبح هدفاً للسوفييت في ما بعد . وقد عبر الرئيس الايراني السابق بني صدر عن ذلك الحذر بقوله: " اننا لا نستطيع ان نتحمل وجود القوات السوفييتية في جوارنا " (٢٨) .

ولكن على الرغم من سخط حكومة كارمال من تدخل ايران في الشؤون الداخلية لافغانستان ، فقد حرصت على التقرب من الحكومة الايرانية بان ارسلت اكثر من رسالة الى الخميني عبرت عن رغبتها بأقامة علاقات ودية بين البلدين ، مثل التي ارسلت في ١٥ شباط/فبراير ١٩٨٠ قال فيها كارمال : " الى الاخ الجليل الجزيل الاحترام اية الله الخميني... من اعماق قلوبنا ومن الاخوة الاسلامية من خالكم ، الى كل الايرانيين .. ان حكومة كابول الجديدة ترغب في اقامة علاقات ودية مخلصة على اساس الاخوة الاسلامية وتبدي استعدادها وعزمها لارسال بعثات حسن نية الى ايران لتعزيز العلاقات بين الشعبين الشقيقين... ان الارض الافغانية لن تستخدم ابداً قاعدة ضد الثورة الاسلامية في ايران وليس هناك فرق بين القضية الافغانية والقضية الايرانية في الاحداث السياسية " . و اضاف ايضاً " ان مؤامرة الامبرياليين دعاء الهيمنة الرجعيين يتطلعون الى خنق الثورة في افغانستان وايران محاولين عزل الشعوب الحرة المسلمة عن سائر العالم الاسلامي والبلدان النامية ، لا بل يسعون جاهدين دون جدوى الظهور بمظهر الاسلام ، بيد انهم في الواقع يحيكون المخططات الخائنة ضد الاسلام والمصالح الاساسية المشتركة للمسلمين ، وانها ستبوء حتماً بالفشل " ، واختتم حديثه مكرراً " ان خطط الامبرياليين الامريكيين ودعاء الهيمنة قد فشلت في ايران ، وستفشل حتماً في افغانستان كذلك " (٢٩) .

وقد اكد الحزب الشيوعي الايراني (توده) صحة ما ذكره كارمال، ففي حديث للصحيفة الناطقة بأسم الحزب قال (نور الدين كيا نوري) الامين الاول للحزب " ان المساعدة السوفييتية

لافاغانستان تعتبر قبل كل شيء مسألة داخلية بين الدولتين " واضاف " ان الامبرياليين كانوا يتأهبون للهجوم على افغانستان بعد انتصار الثورة الايرانية كي يستعيدوا مواقعهم التي فقدوها في ايران" (٣٠).

على اية حال لم تلق محاولات كارمال للتقرب من النظام الايراني الجديد أي رد على هذه الرسالة وغيرها من الرسائل المماثلة ، وهذا ما اعلنه حينها (شاه محمد دوست) وزير الخارجية الافغاني السابق بقوله: " محاولات كابول لاقامة اسس افضل مع طهران قد فشلت ، حيث ان الخميني لم يرد على الرسالة التي بعثها له كارمال " . وفي الواقع ان هذا التغيير الذي انتهجه نظام كارمال من محاولات للتقرب في علاقة بلاده مع ايران كان بتأثير الحكومة السوفييتية التي ادركت ان علاقاتها الاقتصادية مع ايران بعد تدخلها العسكري في افغانستان سيثير مخاوف الحكومة الايرانية الجديدة التي ادانت بتصريحاتها ضد ذلك كما تبين مسبقاً . وعليه فقد حاول السوفييت عدم امتعاض ايران منهم بأن اكد في حينها السفير الروسي في طهران (بولديروف)، ان بلاده ترغب دائماً ان تكون علاقاتها طبيعية وودية مع ايران بحكومتها الجديدة . رغم عدم مبالاة السوفييت في وقتها من التنديد الايراني لتدخله في افغانستان كما جاء في تصريح الرئيس السوفييتي السابق في ذلك الوقت بقوله: " ان مسألة استتكار ايران يجب ان يؤخذ من زاويتها الدينية لكن واقع الحال ان النظام الجديد في ايران يتصرف بالشكل الذي يضايقنا في افغانستان " . وانطلاقاً من هذه الاعتبارات حاول الاتحاد السوفييتي على مدى تلك الفترة استغلال التطورات السياسية في ايران ، وتوظيفها قدر الامكان لمصالحه الاستراتيجية في المنطقة ، فقام بدفع النظام الافغاني الموالي معه باتجاه عدم تصعيد مشاكله مع ايران بالرغم من تدخل الاخيرة في شؤون افغانستان الداخلية (٣١) .

وعلى اثر ذلك اعربت افغانستان في عدة مرات ولفترات عن رغبتها في فتح صفحة جديدة في العلاقات مع ايران ، ففي ٢١ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٢ عبر كارمال في خطاب له في مدينة هرة المحاذية لايران ، اشار فيه الى وجود مصالح اقتصادية وتجارية مشتركة بين بلاده وايران كانعكاس طبيعي لعلاقات الجيرة ، كما اضاف ان بلاده تسعى الى اقامة روابط ودية مع ايران معلناً عن استعداداته لتسوية الخلافات بالطرق السلمية بين البلدين . أي ان هذا التصريح وما تلاه من تصريحات مماثلة بعد مجيء الحكومة الافغانية الجديدة بزعامة (نجيب الله) (١٩٨٦-١٩٩٢) جاء في وقت شهدت فيه العلاقات الايرانية الافغانية حالة من التراجع في جميع الميادين ، منها ثبوت ايران بالتدخل في الشؤون الداخلية لافغانستان وسعيها لتحريض الشعب الافغاني وباسم الدين للتمرد على النظام (٣٢) .

وبذلك يمكننا ان نستنتج بأن العلاقات الايرانية الافغانية مرت بأزمة حادة بسبب تدخل النظام الايراني بالشؤون الداخلية لافغانستان وسعيها الى تغيير النظام ، وقد سعى السوفييت الى

ابقاء جسور العداء والخلافات بين الجانبين الايراني والافغاني للاستفادة في توسيع نفوذه تجاه ايران . بمعنى ان الاخيرة في هذه الحالة كانت امام خيارين اما انها تواصل نهجها المعارض لنظام افغانستان بمساندة فصائل المقاومة الافغانية او انها ويسبب انشغالها بحرب مع العراق ستلجأ الى سياسة اكثر مرونة تجاه موقفها من القضية الافغانية التي طرحت في حينها تحت اشراف الامم المتحدة وهذا ما حصل بالفعل ، فقد شهدت فترة ثمانينيات القرن المنصرم تطوراً ملموساً في علاقات ايران وافغانستان من جانب وايران والسوفييت في المجال الاقتصادي من جانب اخر .

- موقف السياسة الايرانية من قيام الحكومة الانفصالية الافغانية ١٩٨٩-١٩٩٤ :

ظلت ايران ، رغم ظروف تلك الحرب مستمرة في دعم الجهاد الافغاني ضد القوات السوفييتية والنظام الحاكم في افغانستان ، بحيث استقبلت ايران خلال الفترة ١٩٨٣-١٩٨٨ حوالي (٢) مليون مهاجر افغاني وفتحت لهم الحدود، وكفلت لهم الإقامة، ويسرت لهم سبل العيش في ايران ولم يقلل ذلك من قيمة بعض الضغوط التي تحدث عنها بعض المهاجرين بشأن حرية التنقل والتحركات بسبب حرب الخليج الاولى والخلفية المذهبية ودواعي الامن للثورة الايرانية ، وان كانت ايران مصممة في جوهر سياستها بأن تلعب بـ "الورقة الشيعية" في افغانستان (٣٣) وذلك بدعمها ايضاً للمجاهدين الافغان ضد النظام السياسي الحاكم في افغانستان كونها حكومة موالية للسوفييت حتى بعد انسحابهم من الاراضي الافغانية في شباط ١٩٨٩ . فبعد ان تشكلت حكومة المجاهدين الافغان الانتقالية في ٢٤ شباط/فبراير من العام نفسه برئاسة (صبغة الله مجددي) لترتيب الحكم في افغانستان ، استاءت حكومة طهران وعبرت عن غضبها بمعارضتها لتلك الحكومة الانتقالية . الا ان ذلك التوتر انتهى مع قيام حكومة نجيب الله بزيارته الى مدينة مشهد الايرانية في تشرين الاول/اكتوبر ١٩٩٠ تعبيراً عن علاقات بلاده الودية مع ايران . ومع سقوط حكومة الاخير امام هجمات المجاهدين الافغان (٣٤) .

اعطى ذلك للحكومة الايرانية مؤشراً بأن تلعب دوراً فاعلاً في توزيع مقاعد الحكم الجديدة في افغانستان ، اذ اتبعت للمساهمة في ادارة المرحلة الانتقالية للسلطة الاسلامية في افغانستان سياسة التفاهم مع باكستان ، وهي القوة الاقليمية التي تحظى بنفوذ كبير في افغانستان وتستطيع التدخل في النظام السياسي الافغاني ، لقطع الطريق امام محاولة احياء الهيمنة السياسية للباشتون(*) ، وضمان مشاركة حلفائها من الطاجيك(**) . وعززت ايران هذه السياسة بالعمل على ايجاد حليفة جيوسياسية للتحالف الجديد في السلطة ، عبر الاعلان رسمياً في طهران في شباط/فبراير ١٩٩٢ على هامش القمة الاولى لمنظمة التعاون الاقتصادي "الايكو" عن قيام

الاتحاد الثقافي للدول الناطقة بالفارسية (ايران وطاجيكستان وافغانستان) ، الا ان الحسابات الايرانية التي ارتبطت باستمرار الوفاق مع باكستان في شأن افغانستان واجهت قيوداً ابرزها ما يتعلق برؤية اسلام اباد لمستقبل دورها في اسيا الوسطى ، ومدى الاستجابة الباكستانية للضغوط الامريكية الرامية الى ارباك ايران داخل محيطها الامني^(٣٥) ثم ان نشوب الحرب الاهلية والصراع الدموي في افغانستان نتيجة الخلافات بين الفصائل الافغانية التي انتهت بوصول (برهان الدين رباني ١٩٩٢-١٩٩٦) الى الحكم ، وجدت ايران نفسها منخرطة في تلك الصراعات ، حيث عملت على دعم المعارضة الشيعية الافغانية من الطاجيك والهازارا^(٣٦) ، وتأبيدهم في مواجهة الفصائل الاخرى في افغانستان المتمثلة بقوات "الحزب الاسلامي" الذي يقوده (قلب الدين حكمتيار) والذي يقيم تعاوناً وثيقاً مع اجهزة الاستخبارات الباكستانية^(٣٦) .

ولحصر القضية الافغانية في الاطار الاقليمي اقترحت ايران عقد مؤتمر اقليمي عام ١٩٩٣ للنظر في القضية يضم ايران وباكستان وروسيا الاتحادية وجميع فصائل المجاهدين الافغان (السنة والشيعية) والاحزاب العلمانية الاخرى لابعاد التدخل الامريكي والسعودي وحلفائهما في هذا الصراع وذلك للتأكد من ان الفراغ الذي نتج عن انسحاب القوات السوفييتية لن تملؤه الولايات المتحدة والمملكة العربية السعودية كدلالة من ان ايران تتخذ شكل سياسة المحاور بدلاً من سياسة المذاهب الدينية بعيداً حتى ولو نظرياً عن الطائفية^(٣٧) . ولكن ما ابدته ايران يشير الى انها هي من كانت تؤكد على زرع الطائفية واثارتها عندما اكدت على عدم تدخل السعودية تحديداً باعتبارها دولة سنية ستزيد من حدة الصراع بين المجاهدين الافغان بأثار النزعة الطائفية والمذهبية بين السنة والشيعية الافغان كون ان الاغلبية منهم على المذهب السني وبالتالي سينسجم موقفها مع الموقف الامريكي الذي كان ينتظر فرصة التدخل ليثبت وجوده ليس في الخليج العربي حصراً بل في المنطقة الممتدة من جنوب تركيا حتى اسيا الوسطى .

- موقف ايران من نظام حكم طالبان ١٩٩٤-١٩٩٨ :

على الرغم من ذلك فإن الصراع الداخلي بين المجهدين الافغان استمر وأدى في النهاية الى بروز حركة (الملا محمد عمر طالبان) عام ١٩٩٤ التي استطاعت ان تفرض نفسها على المعادلة السياسية آنذاك^(٣٨) فبعد الانتصارات المتوالية التي حققتها حركة طالبان وسيطرتها على معظم اراضي افغانستان في عام ١٩٩٦ اصبح نظام طالبان بتوليته حكم البلاد بعد سقوط برهان الدين رباني في العام نفسه ، يواجه مع مرور الوقت صراعات مع ايران والتي تمثلت بعوامل عديدة منها مذهبية واستراتيجية وسياسية وامنية واقتصادية ودبلوماسية ، وهذه الاخيرة كانت بمثابة الشرارة التي اشعلت فتيل التوتر بين الجانبين وكادت ان تؤدي الى نشوب حرب بينهما عام ١٩٩٨ .

فمن المعروف ان افغانستان تمثل اهمية كبرى لايران التي ترتبط معها بعلاقة خاصة ومصالح سياسية واقتصادية واستراتيجية وما تفرضه علاقة الجوار والموقع الحيوي لافغانستان بالنسبة لايران ، وانطلاقاً من هذا فإن الاخيرة تهتم بالاحداث والتحويلات الداخلية الافغانية والتي تؤثر بدورها على المسائل الامنية لان افغانستان تعد منفذاً لايران في التواصل مع الخارج وكسر الحصار الامريكي الذي دام سنوات طويلة منذ عام ١٩٧٩ ، كما تعد ايضاً معبراً للتواصل مع الدول في آسيا الوسطى مثل طاجيكستان والدول المجاورة لها مثل روسيا الاتحادية والصين والهند ، فضلاً عن ان افغانستان تشكل سوقاً مهماً للبضائع والمنتجات الايرانية التي تغرق الاسواق الافغانية ، هذا اذا علمنا ان افغانستان تعد بلداً غنياً بموارده الطبيعية الكافية ومنطقة مهمة للاستثمارات الايرانية ، واخيراً تمثل رصيذاً ثقافياً لايران حيث تسعى طهران الى استغلال هذا الرصيد الثقافي (الفارسي) المهيمن على الاغلبية العظمى من الافغان وتنمية الروابط الثقافية واللغوية الوثيقة مع افغانستان من اجل دعم نفوذها^(٣٩) .

لكن على الرغم من ذلك كله فإن العلاقات بين البلدين عقب بروز حركة طالبان شهدت توتراً ملحوظاً بصورة عامة . فبعد سيطرة حركة طالبان على افغانستان أدى الى اثاره قلق القادة الايرانيين وحدثت ازمة وتوتر بين البلدين ، باعتبار ان هذا التطور يمثل خطراً على المصالح الامنية الايرانية حيث عدت حكومة طهران ان حركة طالبان ما هي الا مؤامرة امريكية باكستانية للضغط على ايران من حدودها الشرقية ، وربما ان هذه المخاوف تحققت بعين اليقين بعد مقتل (عبد العلي مزارى) زعيم " حزب الوحدة الشيعي " الافغاني في اذار/مارس ١٩٩٥ بيد قوات طالبان بعد مواجهات بين الطرفين ، اشارة واضحة لترسم انتكاسة كبيرة للامال الايرانية في افغانستان ولتزيد من العداء بين البلدين ، فضلاً عن انها اشارة واضحة الى طهران حول موقف حركة طالبان من الاقلية الشيعية التي تدعمها ايران في افغانستان . وهذا الموقف الايراني المعادي لحركة طالبان دفع طهران لتقديم الدعم البارز لمعارضى الحركة ، والسعي لايجاد جبهة

قوية عبر ازالة الخلافات لدى تحالف الشمال في افغانستان (الذي يضم الفصائل الافغانية المعارضة لطالبان ، وايران هي احدى الدول الداعمة لهذا التحالف) احدث تقارب بين فرقاء الامس وهم (احمد شاه مسعود) القائد البارز في تحالف الشمال و(عبد الرشيد دوستم) نائب وزير الدفاع الافغاني الاسبق و(حزب الوحدة الشيعي) الافغاني ، هذا على المستوى المحلي . اما على المستوى الاقليمي والدولي ، فقد تحركت طهران لاجاد تحالف اقليمي ضد طالبان مع جميع دول المنطقة التي تعد طالبان خطراً على امنها ، فركزت ايران جهودها على وصف حركة طالبان بأنها مصدر للارهاب وتجارة المخدرات (٤٠) .

ويرى المراقبون للوضع في علاقات البلدين الجارين بأن هناك عوامل ادت الى حالة العداء الايراني تجاه طالبان ولعل اهم هذه الاسباب هي :

١. العامل المذهبي الطائفي :

ان العديد من المحللين يرى ان العامل الطائفي هو العامل الاكثر بروزاً في الصراع بين نظام طالبان وايران . فالاخيرة عدت طالبان خصماً ايديولوجياً اقام نظاماً جامداً اساء للإسلام (٤١) اذ ان لايران موالون كثر وهو ولاء عقائدي مذهبي من الدرجة الاولى في افغانستان مثل الاوزبك(****) في شمال شرق البلاد وكذلك الطاجيك والهزارا في وسط وغرب البلاد فضلاً عن قبيلة "تورى" الشيعية الوحيدة من الباشتون ذوي الاغلبية السنة ، وتبلغ نسبة الشيعة في افغانستان حوالي (١٠%) من السكان أي بحدود اربعة ملايين نسمة . ومن ثم فإن معارضة ايران لوصول طالبان الى السلطة كانت تستند الى دوافع مذهبية بالدرجة الاساس ولان الباشتون يناهضون بشدة الثقافة الفارسية . وكانت مخاوف ايران تدور حول امكانية اقامة طالبان لدولة القبيلة والحزب الواحد والعرق الواحد ، وهذا سوف يثير تدخلات الدول الاقليمية المحيطة لحماية الاقليات التابعة لها ، أي بصفة عامة تخشى الحكومة الايرانية من ان تتبنى حركة طالبان سياسة متحيزة ضد الاقليات الاثنية عموماً في البلاد ، وضد الاقلية الشيعية خصوصاً ، لا سيما وان بعض التقارير الايرانية اشارت الى ان نظام طالبان قام بمذابح واسعة ضد الشيعة في المناطق التي استولت عليها (٤٢) خاصة وان لايران امتداد تبشيري بالمذهب الاثني عشر في الجمهوريات الاسلامية في اسيا الوسطى ، ووجود نظام طالبان في حكم افغانستان يمثل عائقاً كبيراً امام هذا التمدد المذهبي (٤٣) .

٢. العامل السياسي والأمني والاستراتيجي:

اعتبر العديد من المسؤولين في الحكومة الإيرانية بأن حركة طالبان هو أداة في أيدي باكستان التي تسعى إلى تحجيم النفوذ الإقليمي لإيران نظراً لتدخل باكستان في الصراعات الأفغانية الداخلية فضلاً عن أنها تتعاون مع شركات النفط الأمريكية بهدف السيطرة على أفغانستان وعلى مواردها والذي يتيح في نفس الوقت تحقيق أطماع تلك الشركات في آسيا الوسطى . وفي ظل تلك الظروف فإن ذلك سيمثل تهديداً لامن إيران في حال تسلل جماعات إرهابية أو جماعات تهريب المخدرات ^(٤٤) فوجود نظام غير ودي في أفغانستان على حدود يصعب السيطرة عليها تماماً مما زاد من مخاوف إيران وقلقها . وفي هذا السياق أكد المحلل الاستراتيجي الإيراني (حسين هاشمي) أن الحدود الطويلة بين إيران وأفغانستان أيام طالبان كانت مصدر قلق دائم بالنسبة لإيران لعدم ضبطها أو السيطرة عليها تماماً بسبب تهريب المخدرات وقدم اللاجئين الفارين من حكم طالبان ، واستمرار الأخير في مواصلة العداء تجاه إيران الذي امتد إلى الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى كان قد شكل مصدر تهديد لإيران في هذه الجمهوريات مما أدى إلى وجود واجهة ثقافية علنية مستمرة بين الطرفين ^(٤٥).

٣. العامل الاقتصادي:

أدركت إيران أن دعم الولايات المتحدة لطالبان يمس مصالحها بشكل مباشر في المنطقة كمحاولة أمريكية للسيطرة على طرق تصدير النفط في المستقبل عبر آسيا الوسطى . فقد أشارت بعض التقارير إلى أنه في مقابل دعم الولايات المتحدة لحكومة طالبان ، أعطى للولايات المتحدة لبناء خط أنابيب بطول ١٥٠٠ كم ومنها ٧٤٣ كم داخل أفغانستان من أجل نقل ٢٠ مليار متر مكعب من الغاز التركمانستاني سنوياً للأسواق العالمية ^(٤٦) مما أثار ذلك القلق الإيراني إذ أن الدعم الذي حظيت به حكومة طالبان من الولايات المتحدة في البداية فسرت إيران أنه لا ينفصل عن استراتيجية "الاحتواء" التي تمارسها واشنطن ضدها ^(٤٧) حتى قيل بأن واشنطن استقبلت وفد من نظام طالبان بعد سيطرته على معظم الأراضي الأفغانية عام ١٩٩٦ ^(٤٨) .

وفي الواقع أن الدعم الأمريكي لنظام طالبان كان يهدف في البداية إلى تحقيق هدفين رئيسيين هما :

١. أن حركة طالبان أصبحت حقيقة واقعية وبالتالي يجب التصرف معها بما يحقق المصالح الأمريكية في المنطقة وخصوصاً المصالح الاقتصادية الرامية للوصول إلى آسيا الوسطى للسيطرة على الثروة وأهمها النفط والغاز في تركمانستان ومن بحر قزوين عبر الأراضي الإيرانية إلى بحر عمان وإلى المحيط الهندي .

٢. محاولة تحقيق استئصال ظاهرة (الافغان العرب) الذين يشكلون خطر على الوجود الامريكي في الخليج العربي وكذلك لاحتواء ايران في حدودها الشرقية ، فضلاً عن مزاعم واشنطن الرامية الى محاولة تقليص مصادر المخدرات والحد من تهريبها من افغانستان (٤٩) .

٣. قضية الدبلوماسيين:

كانت هذه القضية من اهم القضايا التي اثارت العداء بين البلدين والذي وصل الى حد الاقتتال بينهما .ولخصت انه منذ ٢ حزيران/يونيو ١٩٩٧ قام نظام طالبان بأغلاق السفارة الايرانية وطرد العاملين فيها متهماً ايران بالتدخل في الشؤون الداخلية الافغانية وارسال الدعم العسكري لشمال افغانستان تحت شعار المساعدات الغذائية الانسانية ، واستمر التوتر بين الدولتين وبلغ ذروته على خلفية ازمة الدبلوماسيين الايرانيين التسعة في القنصلية الايرانية في مدينة مزار شريف الذين قتلوا على يد عناصر من نظام طالبان في ٨ آب/اغسطس ١٩٩٨ (٥٠) كرد على مقتل (٩٠٠) منهم على ايدي افراد من حزب الوحدة الشيعي في افغانستان (٥١) فقد اتهمهم نظام طالبان بأنهم كانوا يزودون فصائل المعارضة في الشمال بالاسلحة والمعدات وتم تصفيتهم بعد اكتشاف دورهم في تعزيز العلاقات بين نظام طالبان وحكومة طهران ، غير ان الاخيرة لم تقتنع بتلك التبريرات فحشدت حوالي (٧٠) الف من قوات الحرس الثوري على الحدود مع افغانستان ، في حين اشارت مصادر اخرى ان ايران حشدت حوالي (٢٠٠) الف عسكري من القوات النظامية واستقرت على طول ٧٣٠ كم على حدودها مع افغانستان ، بينما بلغت قوات طالبان (٢٥) الف مسلح. وتواعد التوتر بين الجانبين بعد المناورات العسكرية التي قام بها الطرفان في منطقة الحدود بينهما خاصة بعد اقتراب قوات طالبان من منطقة باميان الحدودية ، حيث اتهمت طهران نظام طالبان بأعتداءاته على مراكز حدودية تقع على مقربة من الحدود الايرانية ، واستضافته لبعض عناصر (منظمة مجاهدي خلق) الايرانية المعارضة . بينما اتهم طالبان ايران بنواياها لاجتياح افغانستان او الدخول معها في مواجهة عسكرية . ومع ذلك لم تحصل اية مواجهات بينها اذ تراجعت ايران واعتمدت سياسة تهدئة وتعقل فمن وجهة نظرها ادركت بأن أي تحرك عسكري ضد نظام طالبان من شأنه يؤدي الى استغلال الدول المجاورة بتحقيق اهدافها ومصالحها مثل تركيا وروسيا الاتحادية والهند وكذلك سيحقق بالدرجة الاولى هدف الولايات المتحدة التي ستدعم عناصر من نظام طالبان عسكرياً لانهاك واضعاف قوة ايران . كما ان الاخيرة رأت ايضاً انها ستتورط في المستنقع الافغاني مثل ما حدث في الماضي للجيش السوفييتي وبالتالي فأن لجوئها الى الحرب سيكون بمثابة مغامرة غير مضمونة العواقب .اي ان الحرب ستكون لصالح اطراف اخرى . اما طالبان فإنه رأى هو الآخر بأنه ليس من

مصلحته فتح جبهة مع ايران نتيجة سوء الاحوال الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في بلاده (٥٢).

ومن هذه المنطلقات لجأ الجانبان الى المصالحة ليشهد الوضع نوعاً ما تهدئة للتوتر القائم انذاك بين البلدين^(٥٣). لكنه من جانب اخر كانت المنطلقات نفسها قد وضعت ايران في اعقاب احداث ١١ ايلول/سبتمبر ٢٠٠١ في مأزق صعب بتحديد موقفها من الحملة الامريكية على الارهاب وحربها ضد افغانستان التي شنتها في ٧ تشرين الاول/نوفمبر من العام نفسه^(٥٤).

الخاتمة :

يبدو من خلال ما تقدم بأن العلاقات الايرانية الافغانية كانت تتسم بالتأرجح في معظم الاحيان ما بين التوتر الخفي والتصعيد المعلن، فأيران وفقاً لنزعتها التوسعية تسعى الى استغلال الوضع السياسي المضطرب في افغانستان كمحاولة لزعرته تمهيداً في الوصول الى تولي زمام حكم البلاد وما تأسيسها لاحزاب شيعية في افغانستان كحزب (الوحدة الشيعي) الا دليلاً على اطماعها في المنطقة . اذا ان افغانستان تمثل اهمية كبيرة بالنسبة لايران باعتبارها منفذاً اقتصادياً مع دول اسيا الوسطى والدول الاسيوية المجاورة ، فضلاً عن اهميتها الاستراتيجية ايضاً . ولهذا نجد ان ايران ومنذ اعوام طويلة تحاول التدخل في الشؤون الداخلية الافغانية مما ترك اثرًا سلبيًا في تعكر العلاقات بين البلدين بدليل ان ايران لم تتوقف عن دعمها لفصائل المقاومة الافغانية تحت ذريعة ان الحكومات الافغانية المتعاقبة هي حكومات دكتاتورية متسلطة ، فكان دعمها العلني لتحالف الشمال ابرز دليل على ذلك املاً في احكام قبضتها على افغانستان ، ذلك الدعم الذي بدأ على خلفية استمرار العلاقات المتخبطة بين ايران وافغانستان مذهبياً وسياسياً خاصة بعد وصول نظام طالبان الى حكم افغانستان ، بحيث وصل الامر بين الجانبين الى حد نشوب حرب بينهما في آب/اغسطس ١٩٩٨ .

الهوامش

- (١) صالح محمد صالح العلي، التاريخ السياسي لعلاقات ايران بشركي الجزيرة العربية في عهد رضا شاه بهلوي ١٩٢٥-١٩٤١، منشورات مركز دراسات الخليج العربي (البصرة-١٩٨٤)، ص ٢١ .
- (٢) للمزيد من التفاصيل حول معاهدة ١٨٥٧. راجع : خليل ابراهيم صالح المشهداني ، العلاقات البريطانية - الايرانية ١٨٥٧-١٩٠٧، اطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، ١٩٩٧، ص ص ٧٧-٩٠ .
- (٣) نهر الهماند: ينبع هذا النهر من جبال الهدكوش في افغانستان ويتجه الى الجنوب الغربي من الحدود الافغانية، وتتفرع منه قرب الحدود البحيرات اكبرها بحيرة الهامون التي يقع جزئها الرئيس في ايران ، الجزء الجنوبي من النهر يقوم بارواء المناطق الجنوبية الشرقية من ايران ، في حين ان النهر يروي حوالي ٤٠% من مساحة افغانستان ، وقد وضعت الحكومات الافغانية امالاً كبيرة على تطوير مياهه لارواء الاراضي الزراعية المحيطة في جنوب البلاد ، ولكن مسألة تنظيم استخدام مياهه النهر والمشاريع المقامة عليه كانت محطة نقاش ونزاع بين البلدين . انظر : هجير عدنان امين زكي، العلاقات الاقتصادية الافغانية الايرانية ، معهد الدراسات الاسيوية والافريقية ، سلسلة الدراسات الافغانية رقم (٧) ، (بغداد-١٩٨٥) ، ص ١٠ .
- (4)Louis Dupree, Afghanistan,(Newjersy-1973),p432.
- (5)Ibid,p,432.
- (٦) العلي ، المصدر السابق، ص ٩٢ .
- (٧) محمد كامل محمد عبد الرحمن ،سياسة ايران الخارجية في عهد رضا شاه ١٩٢١-١٩٤١،مراجعة :كمال مظهر احمد ، تقديم ،جهاد صالح العمر ، مطبعة العمال المركزية ، (البصرة-١٩٨٨)، ص ١٠٠ وص ٢٠٨ .
- (٨) أكرم عبدالله الجميلي، العلاقات الافغانية -ايرانية ١٩٧٩-١٩٨٦،مجموعة بحوث تحت عنوان "العلاقات الدولية لايران"،الجزء الاول،(بغداد -١٩٨٨)،ص ص ٢٨٢ .
- (٩) زكي ، المصدر السابق،ص ص ١٠-١١ .
- (١٠) للمزيد من التفاصيل . راجع : الجميلي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٨٣-٢٨٥ .
- (11)Ritchard Neweel,The straggle for afghanistan,(London-1981),p.49-50.
- (١٢) زكي ، المصدر السابق، ص ص ٥٨-٥٩ .
- (١٣) المصدر نفسه ، ص ٦١
- (١٤) اسامه الغزالي حرب، الازمة الافغانية وايران ، مجلة السياسة الدولية (مصر) ، العدد ٦٠ ، نيسان ١٩٨٠، ص ص ٦٢-٦٣ .
- (١٥) فريد هوليداي، افغانستان حرب ام ثورة ، ترجمة وتقديم: سامي الجندي ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع،(بيروت-د.ت) ، ص ٨٨ .
- (١٦) حرب ، المصدر السابق ، ٦٣ .
- (١٧) هوليداي ، المصدر السابق ، ص ٨٨ .
- (١٨) حرب ،المصدر السابق ،ص ٦٣ .
- (١٩) الجميلي ،المصدر السابق ، ص ص ٢٩٠-٢٩١ وص ٣٠٣ .
- (٢٠) المصدر نفسه ،ص ص ٢٩٠-٢٩٣ .
- (٢١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٤ .

- (٢٢) راجع : عوده سلطان عوده وجهاد صالح العمر ، العلاقات الايرانية - السوفيتية ١٩١٧-١٩٤١ ، دار الحكمة للطباعة والنشر ، (بغداد-١٩٩٠) ، ص ١١ .
- (٢٣) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ص ٢٩٤-٢٩٥ وص ٣٠٥ .
- (٢٤) حرب ، المصدر السابق ، ص ٦٥ .
- (٢٥) راجع : المصدر نفسه ، ص ٦٥ .
- (٢٦) المصدر نفسه ، ص ٦٣ .
- (٢٧) المصدر نفسه ، ص ص ٦٥-٦٦ .
- (٢٨) الجميلي ، المصدر السابق ، ص ٢٨٧ .
- (٢٩) حرب ، المصدر السابق ، ص ٦٦ .
- (٣٠) المصدر نفسه ، ص ٦٦ .
- (٣١) الجميلي ، ص ص ٢٩٥-٢٩٦ .
- (٣٢) المصدر نفسه ، ص ص ٢٩٦-٢٩٧ .
- (٣٣) كمال الهلباوي ، أفغانستان : محاولة للفهم ، مجلة قراءات سياسية ، العدد ١ ، السنة الثالثة ، ١٩٩٣ ، ص ١٣٩ .
- (٣٤) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (*) الباشتون : وهم خليط من العناصر التركية والايرانية ويشكلون (٨٠%) من مجموع سكان أفغانستان ويتواجدون في المناطق الواقعة جنوب جبال هندكوش ويتكلمون اللغة الختونية (الباشتو) التي هي لغة البلاد الرسمية. راجع : محمد عبد الرحيم ، أفغانستان في الميزان ، دار الفكر للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، (بيروت- ٢٠٠٢) ، ص ١٩ .
- (**) الطاجيك : عناصر ايرانية يسكنون في الوديان العليا من اقليم باداخستان في السهول العليا في وسط أفغانستان ويشكلون ١٥% من السكان ويعملون في الزراعة والصناعة . انظر : المصدر نفسه ، ص ص ١٩-٢٠ .
- (٣٥) جيهان خليفه ، ازمة العلاقات بين ايران وحركة طالبان ، مجلة السياسة الدولية (مصر) ، العدد ١٣٥ ، كانون الثاني ١٩٩٩ ، ص ٢٠٨ .
- (***) الهازارا: من اصل مغولي وعددهم قليل نسبياً وموطنهم المرتفعات الوسطى من أفغانستان ويعملون في الزراعة . راجع : المصدر نفسه ، ص ٢٠ .
- (٣٦) الهلباوي ، المصدر السابق ، ص ١٤٠ .
- (٣٧) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (٣٨) المصدر نفسه؛ الجزيرة (صحيفة) المملكة العربية السعودية في ١ ايلول ٢٠٠١ .
- (٣٩) خليفه ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ؛ الحياة (صحيفة) بيروت في ٦ تشرين الاول ٢٠٠١ .
- (٤٠) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (٤١) الحياة (صحيفة) بيروت في ٦ تشرين الاول ٢٠٠١ .
- (****) الاوزبك : قبائل افغانية يكثر وجودهم في سهول جيحون شمال أفغانستان ولامحهم من اصل مغولي خالصة من الوجه المستدير والبشرة الصفراء ، وهم مزارعون ويعنون ايضاً بتربية الماشية والخيول الاصيلية

- ويشكلون حوالي ٥% من مجموع سكان البلاد. انظر : حسن جوهر وعبد الحميد بيومي، افغانستان ، دار المعارف للطبع والنشر والتوزيع ، (مصر - ١٩٦١) ، ص ١٤ .
- (٤٢) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (٤٣) المصدر نفسه .
- (٤٤) المصدر نفسه .
- (٤٥) خليفه ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .
- (٤٦) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (٤٧) مختارات ايرانية (دورية شهرية مصرية) العدد ١٨ كانون الثاني ٢٠٠٢ ، ص ٢ .
- (٤٨) لقاء اجرائته قناة الجزيرة (القطرية) مع الجنرال محسن رضائي الامين العام لمجمع تشخيص مصلحة النظام في ايران بتاريخ ٢٤ تشرين الاول ٢٠٠١ ؛ خليفه ، المصدر السابق، ص ٢١١ .
- (٤٩) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (٥٠) صحيفة ايران امروز (ايران اليوم) طهران في ١٧ ايلول ٢٠٠١ .
- (٥١) خليفه ، المصدر السابق ، ص ص ٢٠٩-٢١٠ .
- (٥٢) البيان (صحيفة) الامارات العربية المتحدة في ٣ نيسان ٢٠٠٢ .
- (٥٣) المصدر نفسه .
- (٥٤) للمزيد من الاطلاع عن التفاصيل حول موقف ايران من الحملة الامريكية على افغانستان التي شنتها في ٧ تشرين الاول ٢٠٠١ . انظر : محمد سالم احمد الكواز ، موقف ايران من الحرب الامريكية على افغانستان ٢٠٠١ ، بحث مقبول للنشر في مجلة التربية والعلم بكلية التربية - جامعة الموصل ، والبحث محفوظ ايضاً في ارشيف مركز الدراسات الاقليمية في جامعة الموصل .